

توسع روسيا في أواسط آسيا ١٨٥٣-١٨٦٨

Russian expansion in Central Asia 1853-1868

أ.م.د. حارث يوسف عيسى

الجامعة التكنولوجية كلية الهندسة الكهربائية قسم الهندسة الكهربائية

Assistant Professor HarithYousef Isa

University of Technology Faculty of Electrical Engineering Department  
of Electrical Engineering

[harith.y.esa@uotechnology.edu.iq](mailto:harith.y.esa@uotechnology.edu.iq)

ملخص:

أوضح هذا البحث مراحل توسع روسيا في أواسط آسيا، تجمعت عوامل سياسية واقتصادية وعسكرية لصالح روسيا لتنفيذ خططها، بالمقابل كانت خانات أواسط آسيا تعاني من تفتت البناء الاجتماعي والسياسي. كانت المشكلة الرئيسية لروسيا في أواسط آسيا هي الدفاع عن الحدود، فهي حدود غير مكتملة، أثرت مسألة سد الفجوة بين الحدود، وإنشاء خط واحد منذ عام ١٨٥٣ لكن أوضاع روسيا لم تسمح بذلك لانشغالهم بحرب القرم. في عام ١٨٦١ أجرت روسيا تغييرا في القيادة العسكرية مما أدى لتمهيد الطريق لاستئناف تقدم روسيا نحو أواسط آسيا. بعد أن تمكنت روسيا من توحيد حدودها مع أواسط آسيا، بدأت تنفذ خططها الاستعمارية بالتوسع باتجاه خوقند وطشقند وبخارى. شنت روسيا هجوما عسكريا على بخارى في ٧ أيار عام ١٨٦٦ على أثرها هزم جيش بخارى في مواجهة أردجار، كان لها تأثير كبير على مظفر الدين أمير بخارى وبدأ يقدم التنازلات لروسيا. لم يفقد مظفر

الدين الأمل في مقاومة الروس، فرض ضرائب طائلة على التجار لجمع نفقات الحرب التي كان يخطط لها ضد روسيا، ورجال الدين اتخذوا نفس الموقف، واستجاب مظفر الدين لطلب رجال الدين والتجار في أوائل عام ١٨٦٨ بإعلان الحرب ضد روسيا، دارت معركة بين الجانبين وهزم جيش بخارى في الأول من أيار عام ١٨٦٨، على أثرها تمكنت روسيا من إخضاع بخارى تحت سلطتها.

#### **Abstract:**

The present paper explores the stages of Russian expansion into Central Asia. Political, economic, and military factors converged in Russia's favor to implement its plan. In contrast, the Central Asian khanates suffered from a fragmented social and political structure. Russia's main problem in Central Asia was border defense, which was incomplete. The issue of bridging the gap between the borders and establishing a single line had been raised since 1853, but Russia's circumstances did not allow for this due to its preoccupation with the Crimean War. In 1861, Russia undertook a change in military leadership, paving the way for Russia's resumption of its advance into Central Asia. After Russia succeeded in unifying its borders with Central Asia, it began implementing its colonial plans by expanding towards Kokand, Tashkent, and Bukhara. Russia launched a military attack on Bukhara on May 7, 1866, resulting in the defeat of the Bukhara army in the confrontation with Ardagar. This attack had a significant impact on Muzaffar ad-Din, the emir of Bukhara, who began to make concessions to Russia. Muzaffar al-Din did not lose hope in resisting the Russians. He imposed heavy taxes on merchants to raise the expenses of the war he was planning against Russia. The clergy took the same position. Muzaffar al-Din responded to the request of the clergy and merchants in early 1868 to declare war against Russia. A battle took place between the two sides, and the Bukhari army was defeated on May 1, 1868. As a result, Russia was able to subjugate Bukhari to its authority.

## مقدمة:

إن اختيار المدة الممتدة ١٨٥٣ - ١٨٦٨ بسبب ما شهدته إمارات أواسط آسيا من توسع روسيا العسكري، حيث كانت هناك دوافع سياسية وعسكرية واقتصادية وراء هذا التوسع بالمقابل كانت خانات أواسط آسيا تعاني من تفتت البناء الاجتماعي والسياسي. كانت المشكلة الرئيسية لروسيا في أواسط آسيا هي الدفاع عن الحدود، فهي حدود غير مكتملة في الطرف المقابل لسهوب كازاخستان، حيث أثرت مسألة سد الفجوة بين الحدود وإنشاء خط واحد عام ١٨٥٣، لكن أوضاع روسيا لم تسمح بذلك لانشغالهم بحرب القرم.

أجرت روسيا عام ١٨٦١ تغييرا في القيادة العسكرية مما أدى لتمهيد الطريق لاستئناف تقدم روسيا نحو أواسط آسيا، وبدأت روسيا تضع التقارير وترسل البعثات الاستكشافية للتوسع في أواسط آسيا، وتمكنت القيادة العسكرية من احتلال أجزاء من أواسط آسيا بالمقابل كانت وزارة الخارجية تبرر امام الدول الأوروبية التوسع العسكري في المنطقة.

بعد أن تمكنت روسيا من توحيد حدودها مع أواسط آسيا، بدأت تنفذ خططها الاستعمارية بالتوسع اتجاه طشقند، مدعياً وجود قوات خارجة عن القانون تهدد الوجود الروسي في سمرقند وأروه تبه التابعة لبخارى، قرر أمير بخارى مظفر الدين الاستيلاء على طشقند، حيث كانت المنافس الوحيد لبخارى بين مدن أواسط آسيا من حيث الأهمية التجارية، وسرعان ما أصبحت محور الطموحات الروسية وبخارى المتضاربة، وهكذا بدأت ثلاث سنوات صعبة من العداء الروسي البخاري الذي تطور إلى صراع مسلح منذ أوائل عام ١٨٦٥ إلى عام ١٨٦٨، تمكنت القوات الروسية من إخضاع مظفر الدين لسياستها الاستعمارية في المنطقة. قسم البحث على النحو الآتي:

أولاً: دوافع توسع روسيا في أواسط آسيا

١- الدوافع السياسية.

٢- الدوافع العسكرية.

٣- الدوافع الاقتصادية.

٤- التفكك الداخلي.

ثانيًا: سياسة روسيا تجاه أواسط آسيا حتى عام ١٨٥٣

ثالثًا: توسع روسيا في أواسط آسيا ١٨٥٣-١٨٦٥

رابعًا: توتر العلاقات بين روسيا وبخارى

١- مشكلة طشقند.

٢- قطع العلاقات بين روسيا وبخارى.

٣- حملة بخارى الأولى.

٤- مشروع معاهدة عام ١٨٦٧.

٥- حملة بخارى الثانية.

٦- معاهدة عام ١٨٦٨.

أولاً: دوافع توسع روسيا في أواسط آسيا.

١- الدوافع السياسية.

تعد منطقة أواسط آسيا خلال منتصف الثاني للقرن التاسع عشر هي المنتفس الوحيد لقدرات روسيا السياسية. لأن الدول الأوروبية كانت تقف بالمرصاد أمام محاولات توسع روسيا في القارة الأوروبية أو على حساب الدولة العثمانية. إضافة إلى ذلك أن سيطرة روسيا على أواسط آسيا تعد خطوة استراتيجية ضد بريطانيا، لأنه في حالة قيام حرب أوروبية فإن منطقة أواسط آسيا الإسلامية سوف تجعل الهند في متناول الروس سيكون عندهم فرصة الانتقام من بريطانيا أو على الأقل فتح جبهة ضد بريطانيا. (العيلة، ١٩٨٦، الصفحات ٣٨-٣٩)

على المستوى الدبلوماسي أعلن وزير خارجيتها إيه إم غورتشاكوف A.M. Gorchakov<sup>(١)</sup> أن الإجراء العسكري الذي تتخذه روسيا كان ضرورة ملحة لسلامة الحدود الروسية، وأن حكومته لا تقصد ضم أراضي جديدة في المستقبل. (Demetrius, 1979, p. 164)

## ٢- الدوافع العسكرية:

كان يتخلل القلاع الروسية في سيبيريا واورنبرج وبحر قزوين مساحات كبيرة من أراضي أواسط آسيا تحول دون اتصال تلك القلاع بعضها ببعض أو بمعنى آخر تعوق وحدة الأراضي الروسية، ولذلك قدم مجموعة من العسكريين الروس اقتراحاً يتضمن تكامل القلاع الروسية بحيث تشكل سلسلة دفاعية متصلة، أن هذه الخطوة العسكرية ستوفر لروسيا نفقات عسكرية كبيرة. (الشمري، ٢٠٠٦، الصفحات ١٣٦-١٣٧)

## ٣- دوافع اقتصادية:

كان القطن أهم السلع التي تحصل عليها روسيا من منطقة أواسط آسيا فقد تطورت صناعة النسيج الروسية منذ عام ١٨٥٠ حتى بدأت تقلل من حجم استيراد المنسوجات القطنية، واقتصرت استيراد القطن الخام من أواسط آسيا. وأصبح لدى روسيا فائضاً في إنتاجها من الغزل والنسيج، وكانت بحاجة إلى أسواق جديدة، وكانت الأسواق في أواسط آسيا تمثل أمل الروس لتصريف منتجاتهم، وكانت المنسوجات القطنية تشكل نسبة خمسة وتسعين بالمئة من حجم التجارة الروسية في تلك المنطقة. (العيلة، ١٩٨٦، الصفحات ٤٠-٤١)

كما أن اصحاب المصانع والتجار الروس قدموا مقترح لقيصر روسيا ألكسندر الثاني<sup>(١)</sup> Alexander II عام ١٨٦١ بتوسيع تجارتهم تجاه أواسط آسيا ومنافسة التجارة البريطانية، ورحب القيصر الروسي بالمشروع وطلب من

١- إيه إم غورتشاكوف (١٧٩٨-١٨٨٣): سياسي روسي ينحدر من عائلة نبيلة. تولى منصب الوزير المفوض الروسي في فيناعم ١٨٥٤، ثم أصبح وزير الخارجية الروسية عام ١٨٥٦، بقي في منصبه هذا حتى عام ١٨٨٢. تمكن من توطيد العلاقات الروسية الأوربية بعد حرب القرم. (آلان، ١٩٩٢، صفحة ٣٣٩)

١- ألكسندر الثاني (١٨١٨-١٨٨١): تولى الحكم في ٢ آذار عام ١٨٥٥، بعد وفاة أبيه القيصر نيقولا الأول، استمر في حرب القرم وعقد معاهدة باريس في شهر آذار عام ١٨٥٦. بدأ بإصلاح الشؤون الداخلية، وقد اهتم بالتعليم وجعله إلزامياً واهتم أيضاً بالجيش للاستعداد لأخذ الثأر من الدولة العثمانية. وألغى استرقاق المزارعين وتمليكهم منفعة الأرض عام ١٨٦١. (الخفاجي، ٢٠١٨، صفحة ٥٨)

وزير الحربية دي إيه ميليوتين<sup>(٢)</sup> DA Milyutin اتخاذ الإجراءات نحو تكامل المراكز العسكرية الروسية في سيبيريا وسيحون خلال عام ١٨٦٤. (Becker, 1968, pp. 16-17)

٤ - التفكك الداخلي:

كان الطابع القبلي في أواسط آسيا (خوقند وبخارى وخيو ومرو) هو النظام السائد، وكان منصب الخان أو الأمير هدفاً لكل قبيلة وحينما تتجح القبيلة في الوصول إلى ذلك المنصب، يحدث صراع حول المنصب بين أفرادها أو بين القبائل، أدى هذا الصراع إلى تفتت البناء الاجتماعي والسياسي للإمارات، واستغلت روسيا هذا التفكك في كل من خوقند وبخارى وأخذت تدعم العناصر المتمردة، مما أدى إلى تصدع الجبهة الداخلية في هاتين الإمارتين. (العيلة، ١٩٨٦، صفحة ٤١)

كانت الإمارات الإسلامية في أواسط آسيا تفتقد وحدة الصف أبان توسع روسيا فلم تتخذ إجراءات فعالة على مستوى جميع الإمارات، ولم تحاول استغلال ظروف روسيا، خاصة حين اشتعال الثورات ضد روسيا في المناطق التي تقع على حدود الإمارات الإسلامية، ولم تقدم المساعدات للجماعات الثائرة، فقد تفوقعت كل إمارة داخل حدودها تنتظر الغزو الروسي، بل إن روسيا نجحت في إثارة العدواة بين تلك الإمارات، ومن ثم دفعتها إلى معارك جانبية فيما بينهم لاستنزاف طاقاتهم البشرية والاقتصادية حتى يكون الطريق أمامها سهلاً لمواصلتها التوسعية في المنطقة. (Demetrius, 1979, p. 165)

ثانياً: سياسة روسيا تجاه أواسط آسيا حتى عام ١٨٥٣

تمكنّت روسيا من السيطرة على كازان عام ١٥٥٢، وأستراخان عام ١٥٥٦ وأصبح الطريق مفتوحاً مباشراً مع أواسط آسيا عبر سهل كازاخستان. وفي عام ١٥٥٨ قام التاجر أنتوني جينكينسون Anthony Jenkinson بزيارة أواسط آسيا كأول سفير رسمي لروسيا في تلك المنطقة، وعاد إلى روسيا في العام التالي برفقة مبعوثين من بخارى وخيو لتوطيد العلاقات السلمية بين الجانبين، وتم الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية، وكانت التجارة الشغل الشاغل لروسيا في أواسط آسيا خلال القرنين السابع عشر (Morrison, 2014, p. 123). حافظ تجار

<sup>٢</sup>-دي إيه ميل يوتين (١٨١٦ - ١٩١٢): عسكري روسي ينحدر من عائلة نبيلة، شارك في أغلب معارك روسيا، تولى عدة مناصب عسكرية، ويعد مساعد القيصر ألكسندر الثاني شغل منصب وزير الحرب (١٨٦١-١٨٨١)، وكان له دور رئيسي في إصلاح المؤسسة العسكرية في ستينيات القرن التاسع عشر. (Захаровой, 1997, p. 493)

أواسط آسيا على التجارة بشكل منتظم ونقلوا بضائعهم إلى مدن روسيا كل من أسترخان ، وكازان ، ونيجني نوفغورود ، ولاروسلاف ، وموسكو . وكان تجار أواسط آسيا يحرصون على احتكارهم التجارة والنقل إلى روسيا . كان لسياسة روسيا خلال هذه المدة هدفان رئيسيان: تحرير العبيد الروس (معظمهم من الصيادين والتجار الذين تم أسرهم من قبل الكازاخيين والتركمان الذين يسكنون بالقرب من بحر قزوين وبيعهم كعبيد في خيوة وبخارى)، وجمع المعلومات حول طرق التجارة إلى الهند، لم تنجح جهود روسيا في تحقيق الهدفين الاثنين التي سعت لأجلهما. (Demetrius, 1979, p. 167)

أدرك قيصر روسيا بطرس الأكبر<sup>(٢)</sup> Peter The Great الأهمية التجارية لأواسط آسيا باعتبارها المنفذ الوحيد إلى الهند من جهة الشمال، فضلاً عما تمتلكه تلك المناطق من ثروات طبيعية وخبول وأغنام وقطن وحبوب، فأرسل الأمير غاغارين Gagaren في بعثة استكشافية إلى أواسط آسيا، تمكن من جمع المعلومات وبعث تقريراً إلى القيصر ذكر فيه على وجود كميات كبيرة من الذهب في مدينة يارقند الواقعة في منطقة تركستان الشرقية (شرق بخارى). استغل القيصر بطرس الأكبر الخلافات الداخلية عندما استجد به نياز خان حاكم خيوة الذي كان متورطاً في معارك مع جيرانه، فأصدر القيصر أوامره عام ١٧١٧ بتحريك قواته لمساعدة أمير خان خيوة وإقناعه على الاعتراف بالسيادة الروسية والسماح بوضع حرس عسكري روسي في عاصمته، وأدرك نياز خان حقيقة أهداف روسيا ببقاء قواتهم في أراضيهم، وبعد استقرار الأوضاع، وتسوية المشاكل القبلية، اندلعت الحرب ضد القوات الروسية لطردها من خيوة وقتل العديد من الروس بما فيهم قائد القوات. وعلى الرغم من الهزائم التي لحقت بالروس إلا أن القيصر حرص على وجود التمثيل الدبلوماسي في تلك الخانات، وأن تستمر العلاقات بين الطرفين والسعي لتأمين الطرق التجارية، واستمرت روسيا بسياستها السلمية خلال القرن الثامن عشر. (الشمري، ٢٠٠٦، الصفحات ١٣٧-١٣٨)

استغلت روسيا غزوات البدو الكازاخستانيون لتوسيع نفوذهم في أواسط آسيا، كانوا البدو الكازاخستانيون اسمياً تابعين لروسيا لكنهم يقومون بمداومة كل من الحدود الروسية والقوافل التجارية بين روسيا وأواسط آسيا. وبين

<sup>٢</sup> - بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥): ولد في الكرملين يوم تمكن من عزل شقيقته صوفيا من عرش روسيا وتولى الحكم (١٦٨٩ - ١٧٢٥) وأجمع المؤرخون أنه مؤسس روسيا الحديثة وأصبحت روسيا في عهده دولة أوربية ذات شأن كبير. (utechin, 1961, pp. 416-417)

عامي ١٨٢٤ و ١٨٥٤ تمكنت القوات الروسية من احتلال السهوب الكازاخستانية التي تقع بين بحر قزوين ومنطقة سير داريا السفلى، ووضعت السهوب بأكملها تحت حكم روسيا. وأدى التقدم الروسي إلى تفاقم التوترات الروسية مع خيوة إلى حد كبير من خلال إثارة مشكلة المطالبات المتضاربة للقوتين بالسلطة على الكازاخستانيين، وسعي روسيا إخضاع خيوة بمنحها امتيازات خاصة للتجار الروس الذين بدأوا في اختراق أواسط آسيا. (Жкфск, 1965, p. 120)

استخدمت روسيا القوة لتنفيذ مخططاتها، فشنت هجوماً على خيوة خلال المدة ١٨٣٩-١٨٤٠، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها بالوصول إلى خيوة بسبب صعوبات التضاريس والطقس. خوفاً من تجدد الهجوم الروسي، فقام خان خيوة عام ١٨٤٠ بتسليم عدد من العبيد الروس ومنع رعاياه من مdahمة الأراضي الروسية أو شراء الأسرى الروس. وفي عام ١٨٤٢ وافق خان خيوة على المطالب التي قدمتها إليه البعثات الروسية خلال المدة ١٨٤١ - ١٨٤٢، لكن لم يلتزم بتنفيذ المطالب الروسية. (Becker, 1968, p. 10) وتضمنت مطالب روسيا السياسية والاقتصادية، بالامتناع خان خيوة عن أي أعمال عدائية ضد روسيا، بما في ذلك حيازة العبيد الروس وعدم منح اللجوء للكازاخيين الفارين من العدالة الروسية، ويجب على خيوة أن تكف عن مؤامراتها بين الكازاخيين الخاضعين لروسيا وهجمات على القوافل على طول نهر سير داريا، وأن تدمر الحصون التي تم بناؤها على طول النهر سير داريا لدعم مثل هذه الهجمات، والسماح للتجار الروس بالتجارة بحرية في خيوة على أساس المساواة مع التجار المحليين، يجب أن تضمن الخانات سلامة التجار الروس وممتلكاتهم، ولا تفرض ضرائب مرتفعة. (Рождкова, 1960, p. 193)

طالبت روسيا عام ١٨٤١ بتحديد رسوم الاستيراد على بضائعها بنسبة خمسة بالمئة، والسماح بالعبور دون عوائق للبضائع والقوافل الروسية عبر أواسط آسيا إلى الدول المجاورة (مثل أفغانستان وكاشغر)، والسماح للوكلاء التجاريين الروس بالإقامة في بخارى وخيوة. (Becker, 1968, p. 10) أضافت روسيا هدفاً إضافياً تمثل في حرية الملاحة في نهر آمو دريا Amu-Darya للسفن الروسية، لم يتحقق أي من هذه الأهداف حتى تمكنت روسيا من إنشاء حصن عند مصب نهر سير داريا عام ١٨٤٧ أدى ذلك إلى اتصال روسيا بشكل مباشر مع خيوة وخوقند. (Рождкова, 1960, p. 193)

أدركت خيوة وخوقند حالة للتوسع الإقليمي الروسي على حساب خانات أواسط آسيا إثر غزو روسيا لقلعة اق المسجد Ak-Masdjid في نهر سير - داريا عام ١٨٥٣. وأصبحت القوات الروسية وقتها على عتبة أواسط آسيا. وبما أن الحدود الروسية تقع في منطقة يسكنها البدو والغازاق، فإن عملية ترسيم الحدود تكون أمراً مستحيلاً. كانت مهمة القضاء على غزوات البدو الذين كانوا بإمكانهم الفرار عبر الحدود إلى خانات أواسط آسيا

في غاية الأهمية للحفاظ على أمن روسيا، علما أن خيوة وخوقند كانتا تتعاطف مع البدو على أسس دينية وعرقية وثقافية وسياسية. (هايت، ١٩٧٠، الصفحات ١٢٨-١٢٩)

ثالثاً: توسع روسيا في أواسط آسيا ١٨٥٣-١٨٦٥

كانت المشكلة الرئيسية لروسيا في أواسط آسيا هي الدفاع عن الحدود. فهي حدود غير مكتملة في الطرف المقابل لسهوب كازاخستان في الغرب، امتد خط سير - داريا الذي تم تشكيله مؤخراً من مصب هذا النهر حتى حصن اق المسجد، الذي أعيدت تسميته حصن بيروفسك Fort Perovsk في الشرق، امتد خط سيبيريا الجديد من إرتيش Irtysh نزولاً إلى نهر إيلي Ellie، بين بيروفسك وإيلي بقيت فجوة تقارب ستمئة ميل، من بحر آرال Aral إلى نهر الأورال Ural لم تكن حدوداً على الإطلاق كانت عبارة عن حصون روسية متناثرة. أثيرت مسألة سد الفجوة بين بيروفسك وإيلي وإنشاء خط واحد من بحر آرال إلى إرتيش عام ١٨٥٣ من قبل الجنرال ج. هاسفورد J. Hasford. الحاكم العام لغرب سيبيريا، لكن أوضاع روسيا لم تسمح بذلك لانشغالهم بحرب القرم<sup>(٣)</sup>، اقتضت توجهاتها بتمديد خط سيبيريا الجديد عبر نهر إيلي، لذلك تم إنشاء حصن فيرني Vernyi عام ١٨٥٤ كنقطة جديدة للخط. (Попов, 1940, p. 200) وفي عام ١٨٥٨، أعاد الجنرال أ.أ. كاتنينين A.A. Katinin الحاكم العام لأورنبورغ، إحياء القضية واحتج أمام وزارة الخارجية على أن الوضع الراهن لا يمكن الدفاع عنه وأن توحيد خطوط الحدود واحتلال تركستان وطشقند ضروريان لاستقرار حدود روسيا في أواسط آسيا، واقترح أ.أ. كاتنينين أنه بعد الاستيلاء على طشقند، يتم إرسال حملة عسكرية تجاه بخارى من أجل تنظيم العلاقات مع تلك الخانة، رفض القيصر الكسندر الثاني ووزير خارجيته إيه ام غورتشاكوف مقترحات أ.أ. كاتنينين، للانشغال بتحريض الأفغان خلال السنوات الأولى من عهد ألكسندر الثاني. (Халфан, 1960, pp. 120-123)

أجرت روسيا عام ١٨٦١، تغييراً في القيادة العسكرية مما أدى لتمهيد الطريق لاستئناف تقدم روسيا نحو أواسط آسيا. وأصبح دي إيه ميليويتين وزيراً للحرب، وتولى الجنرال إغناطييف Ignatiev إدارة قسم آسيا في وزارة

<sup>٣</sup> - حرب القرم: هي الحرب التاسعة في سلسلة الحروب الروسية العثمانية، بدأت في ٤ تشرين الأول عام ١٨٥٣، واستمرت لغاية عام ١٨٥٦، دخلت فرنسا وبريطانيا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية بعد ان أصاب الدولة العثمانية الضعف، كانت أسبابها الأطماع الإقليمية لروسيا على حساب الدولة العثمانية، ولأسيما في شبه جزيرة القرم التي كانت مسرح المعارك والمواجهات، وانتهت الحرب في ٣٠ آذار عام ١٨٥٦، بتوقيع اتفاقية باريس وهزيمة الروس. (المحامي، ١٩٨١، الصفحات ٤٩١-٥١٣)

الخارجية، وكان كلاهما من المؤيدين للغزو العسكري لأواسط آسيا. وفي أواخر عام ١٨٦١، اقترح الجنرال ألكساندر بيزوبراذوف Alexander Bezobazoz، الحاكم لمدينة أورنبورغ الروسية، التوحيد الفوري لخط سير داريا وسيبيريا واحتلال تركستان وطشقند، (Becker, 1968, p. 12) وتم تشكيل لجنة مؤلفه من م خ رويترن M KhReutern وزير المالية، وإيه ام غورتشاكوف، ودي إيه ميليويتين، وألكساندر بيزوبراذوف، وإغناتيف، وكوفاليفسكي Kovalevsky المدير السابق لقسم آسيا، لدراسة مقترح ألكساندر بيزوبراذوف في شهر آذار عام ١٨٦٢ ولأهمية المقترح تم دراسته مرة ثانية في شهر آذار عام ١٨٦٣، وقدمت تقريرها بإجراء استكشاف للمنطقة بين النقاط للخطين الحدوديين من خلال حملات استكشافية. (Попов, 1940, p. 210)

في ٧ حزيران عام ١٨٦٣، انتهك العقيد إم جي تشيرنيايف<sup>(٤)</sup> MG Chernyaev رئيس أركان الجنرال ألكساندر بيزوبراذوف وقائد إحدى مهام الاستكشاف، تعليماته باحتلال القلعة سوزاك Suzak وإعلانها تحت حماية روسيا. أثبتت خطوة إم جي تشيرنيايف الجريئة أنها الحافز الذي احتاجته روسيا. بدلاً من اللوم على إم جي تشيرنيايف لعصيان الأوامر، برر دي إيه ميليويتين احتلال سوزاك إلى إيه ام غورتشاكوف، واصفاً إياها بأنها خطوة نحو توحيد الخطوط الحدودية والحفاظ على الأمن ووقف تهديدات محتملة من خانية خوقند. (Becker, 1968, p. 13)

أمر القيصر ألكساندر الثاني في ٢٠ كانون الأول عام ١٨٦٣، وزير الحرب دي إيه ميليويتين بالمضي قدماً خلال العام التالي لتوحيد خطوط سير داريا وسيبيريا، في غضون تسعة أشهر تم تنفيذ أوامر القيصر، حيث تقدمت كتيبة واحدة من بيروفسك واستولت على تركستان، وانطلقت كتيبة أخرى من فيرني تحت قيادة إم جي تشيرنيايف، واستولى على أولي أتا Aulie-Ata. في ٢٢ أيلول عام ١٨٦٤، وسقطت شيمكنت في أيدي القوات المشتركة للكتيبتين، فتم تحقيق هدف روسيا منذ زمن طويل فقد حلت الحدود الموحدة في المنطقة، وتم ترقية إم

---

٤- إم جي تشيرنيايف (١٨٢٨ - ١٨٩٨): رجل دولة وعسكري روسي من عائلة نبيلة، شغل عدة مناصب عسكرية وسياسية عين الحاكم العام لتركستان، والقائد الأعلى للجيش الصربي، ومن بين النجاحات العسكرية التي حققها تشيرنيايف الاستيلاء على أكبر مدينة في آسيا الوسطى (طشقند)، والتي أصبحت فيما بعد عاصمة تركستان الروسية. (дел, 2021)

جي تشيرنيايف إلى رتبة لواء وأعطى قيادة خط نيو كوكند، وكان خاضعاً لسلطة الحاكم العام لأورنبورغ. (Попов, 1940, p. 210)

سار إم جي تشيرنيايف عام ١٨٦٣، دون أي إذن من رؤسائه إلى طشقند أكبر مدن ومركز اقتصادي لخانية خوقند. لكن لم ينجح هجومه فانسحبت قواته، وعلى أثرها طلب وزير الخارجية ايه ام غورتشاكوف من القيصر ألكسندر الثاني في ٢١ شباط عام ١٨٦٤، أن يأمر بعدم السماح بأي تغيير مستقبلي في الحدود الروسية والتخلي عن أي فكرة من الغزو في أواسط آسيا. (Becker, 1968, p. 13)

قدم ايه ام غورتشاكوف في ٢١ تشرين الثاني عام ١٨٦٤، تفسيراً عن دوافع روسيا التي أدت إلى دفع حدودها إلى أطراف المناطق المستقرة أواسط آسيا إلى الممثلين الدبلوماسيين الروس في الخارج قال: "إن موقف روسيا في أواسط آسيا هو موقف جميع الدول المتحضرة التي تتصل بالسكان البدو نصف المتوحشين، الذين ليس لديهم تنظيم اجتماعي ثابت. في مثل هذه الحالات، يحدث دائماً أن تضطر الدولة الأكثر تحضرًا، من أجل أمن حدودها وعلاقاتها التجارية، إلى ممارسة الهيمنة على أولئك البدو النصف المتوحشين". (هايت، ١٩٧٠، الصفحات ١٤٨-١٤٩)

رابعاً : توتر العلاقات بين روسيا وبخارى

#### ١- مشكلة طشقند :

حتى نهاية عام ١٨٦٤، كانت عمليات استحواذ القوات الروسية على الأراضي في أواسط آسيا تتم بالكامل على حساب خوقند، لصد هجمات القوات الروسية فقرر أمير خوقند عام ١٨٦٣، أن يكون تابعاً لأمير بخارى مظفر الدين (١٨٦٠-١٨٨٥) إذ لم يكن هناك خضوع رسمي، بل كانت محاولة سياسية للحصول على دعم من بخارى. وفي عام ١٨٦٥، قرر الأمير مظفر الدين الاستفادة من حقيقة أن تابعه كان محاصراً بالحرب الأهلية وكذلك الغزو الروسي للاستيلاء على طشقند التي كانت لمدة طويلة في نزاع مع خوقند، حيث كانت المنافس الوحيد لبخارى بين مدن أواسط آسيا من حيث الأهمية التجارية، وسرعان ما أصبحت محور الطموحات الروسية والبخارية المتضاربة، وهكذا بدأت ثلاث سنوات صعبة من العداء الروسي البخارى الذي تطور إلى صراع مسلح منذ أوائل عام ١٨٦٥. (Becker, 1968, p. 20)

نظراً لأن روسيا وخوقند كانتا لاتزالان في حالة حرب، ولم يتوصلا إلى تسوية لحدودهما المشتركة، سعت روسيا لفصل طشقند عن خوقند، وعبر عن ذلك من خلال تصريحات وزير خارجية روسيا ايه ام غورتشاكوف في

الدعوة إلى فصل طشقند عن خوقند "ستكون طشقند المستقلة، التي كان خضوعها لروسيا مضموناً من خلال قرب قواتنا المسلحة، وتكون قاعدة مناسبة لتقدم الروسي ، ضد كل من خوقند وبخارى، وسيكون بمثابة حاجز ضد الهجمات المفاجئة من أي من تلك الخانات، وسوف يكون لصالح التجارة الروسية". (Morrison, 2014, p. 131)

اقترح ايه ام غورتشاكوف إنشاء طشقند "المستقلة" من خلال إثارة ثورة ضد خوقند أولاً ثم إرسال القوات الروسية لضمان النجاح السريع للمتمردين. (Morrison, 2014) كان مخطط وزير الخارجية للسياسة الروسية موجهاً لتوجيهات اللواء إم جي تشيرنيايف، الذي تم تعيينه حاكماً عسكرياً لمنطقة تركستان. التي تشكلت في ١٢ شباط عام ١٨٦٥ ، حصل إم جي تشيرنيايف على موافقة من الحكومة الروسية في ٢٤ نيسان عام ١٨٦٥ ، بشن هجوم على طشقند، وانطلق إلى طشقند ، مدعياً وجود قوات خارجة عن القانون تهدد الوجود الروسي في سمرقند واوره تبه التابعة لبخارى. (Becker, 1968, p. 21)

قام إم جي تشيرنيايف بالهجوم على طشقند في أوائل شهر آيار عام ١٨٦٥، وتمكن في ٩ آيار عام ١٨٦٥ بفرض حصار على طشقند ، وأعلن إم جي تشيرنيايف للأمير مظفر الدين أن القيصر الكسندر الثاني أمره بعدم عبور السير داريا ولكنه أراد أن يفرض النظام في المنطقة. (هايت، ١٩٧٠، صفحة ١٥٢) بالمقابل أكدت روسيا أنه يجب ترك طشقند وخوقند خالية من الاحتلال الروسي من أجل تشكيل دولتين مستقلتين تحت النفوذ الروسي، وحينئذ ضمان هدوء حدود روسيا وسلامة تجارتها. (Becker, 1968, p. 22)

في هذه الأثناء سيطر بخارى على اوره تبه وخجند وخوقند، وتم إعادة حاكمها خضير إلى العرش، على إثرها تحركت القوات الروسية بقيادة إم جي تشيرنيايف واستولى على طشقند في ١٧ حزيران عام ١٨٦٥ ، وتم إنشاء حامية روسية لحماية المدينة من خوقند وبخارى. (هايت، ١٩٧٠، الصفحات ١٥٢-١٥٣)

## ٢- قطع العلاقات بين روسيا وبخارى :

قبيل سقوط طشقند في أيدي الروس وبعد أن احتل مظفر الدين اوره تبه وخجند وخوقند وأعاد خضير إلى العرش ، أرسل سفارة إلى القيصر الكسندر الثاني يطلب ترسيم الحدود الروسية البخارى. طالب مظفر الدين من إم جي تشيرنيايف أن ينسحب من طشقند إلى شيمكنت، فأجابه على الأمير التعامل مباشرة مع سانت بطرسبرغ واصدر أمراً باعتقال جميع رعايا بخارى ومصادرة جميع القوافل التجارية البخارى في إقليم تركستان، ثم طلب من رؤسائه توسيع نطاق هذه الإجراءات في جميع أنحاء روسيا وتم توسيع الاعتقالات لتشمل جميع أنحاء حكومة أورينبورغ. (Morrison, 2014, p. 133)

عندما سمع الأمير مظفر الدين عن اعتقال عدد من رعاياه على الفور أرسل رسلاً يطالبون بالإفراج عنهم في ٢٣ تموز عام ١٨٦٥. واشتكى وزير الخارجية ايه ام غورتشاكوف لوزير الحرب دي ايه ميليويتين من تصرف ام جي تشيرنيايف، وشعر وزير الخارجية أن الوضع ينزلق بسرعة من أيدي السلطات المدنية إلى أيدي الجيش، لكنه حذر يجب أن يكون الجيش واثقاً من قوته قبل أن يهاجم بخارى أضاف دي ايه ميليويتين "من الضروري الحفاظ على نفوذنا وكرامتنا بأي ثمن". في ٢٩ تموز عام ١٨٦٥ أوضح وزير الحرب سياسة الحكومة الروسية تجاه بخارى "كرامة ومصالح روسيا لا تسمح لنا حتى بالنظر في إمكانية التراجع أو التنازل عن المطالب المتعجرفة للأمير بخارى، يعتمد مستقبلنا بالكامل في أواسط آسيا على الموقف الذي نضع أنفسنا فيه فيما يتعلق ببخارى، ويأمل من القيصر ألا تفشل سعادتك في بذل كل جهد ممكن للحفاظ على كرامة روسيا ونفوذنا في أواسط آسيا". في نهاية شهر تموز، وصل مبعوثو الأمير إلى كازالينسك Kazalinsk الجزء السفلي من سير داريا في طريقهم إلى سانت بطرسبرغ، وتم احتجازهم بأمر من الجنرال كريجانوفسكي Krijanovsky، الذي أوضح لهم أن مظفر الدين يجب أن يتعامل معه وليس مباشرة مع القيصر. (Becker, 1968, p. 23)

في محاولة لإعادة تأكيد سيطرة الحكومة على الأحداث، وأصدرت وزارة الحرب عام ١٨٦٥ تعليمات إلى كريجانوفسكي برفع الإجراءات القمعية ضد تجار بخارى في أقرب وقت ممكن، وعدم اتخاذ أي تدابير استثنائية في المستقبل دون موافقة الحكومة. (Халфан, 1960, pp. 218-219) في شهر أيلول عام ١٨٦٥، أمر ام جي تشيرنيايف قواته بفرض النظام في منطقة شيمكنت، وبالتالي رفض طلب مظفر الدين أوائل تموز تعد شيمكنت الحدود المؤقتة. في منتصف تشرين الأول عام ١٨٦٥ أرسل ام جي تشيرنيايف سفارة إلى الأمير، بقيادة مستشار الحكومة ك.ف ستروف K.V. Struve من وزارة الخارجية، للتفاوض بشأن إعادة العلاقات الودية والتجارية مع بخارى، في تشرين الثاني عام ١٨٦٥، اعتقل مظفر الدين بعثة ك.ف ستروف وجميع الروس المتواجدين في بخارى. (Татаринов, 1967, pp. 228-229) وفي ٧ كانون الأول عام ١٨٦٥ طلب ام جي تشيرنيايف من الأمير تفسيراً للاعتقالات، فرد الأخير بأن البعثة الروسية كانت محتجزة انتقاماً لاحتجاز سفارة بخارى وسيتم الإفراج عنها بعد أن حصل مبعوثو بخارى على رد إيجابي من القيصر شخصياً. (Терентьев, 1906, p. 323)

ولتخويف الأمير مظفر الدين أرسل ام جي تشيرنيايف قوة صغيرة عبر سير داريا في ١٢ كانون الثاني عام ١٨٦٦، على إثرها بدأ مظفر الدين في تجميع قواته ودخل في مفاوضات مع خيوة والقبائل التركمانية لإنشاء تحالف ضد روسيا، في ٣١ كانون الثاني عام ١٨٦٦ متجاهلاً لتعليمات رؤسائه في أورينبورغ وفي وزارة الحرب عبر ام جي تشيرنيايف سير داريا بقوة وانتقل إلى جيزاك، أقوى حصن على حدود بخارى. (Терентьев, 1906, p. 323)

(1906) أبلغ ام جي تشيرنيايف مظفر الدين أنه كان يعبر سير داريا ليس للغزو، ولكن لتحرير المبعوثين الروس الأسرى.

حاول الأمير منع المزيد من التقدم العسكري الروسي من خلال الوعد بالإفراج عن مهمة ك.ف ستروف ، لكن ام جي تشيرنيايف رد بأنه سيتعين عليه مواصلة عمله، تقدم حتى وصل إلى بعد خمسة أميال من جيزاك، رفضوا أهلها التعاون وتقديم المساعدة للقوات الروسية من خلال عدم بيع الحطب والمؤن لهم، وفتحوا النار على القوات الروسية، سرعان ما اتضح أن مظفر الدين كان يماطل ولم يكن ينوي الإفراج عن الأسرى. (Becker, 1968, p. 24) قرر ام جي تشيرنيايف عدم الاستيلاء على جيزاك وفي ١١ شباط عام ١٨٦٦ ، بدأ الانسحاب إلى الضفة اليسرى لسير داريا، وتم إعفاء ام جي تشيرنيايف من واجباته. (Терентьев, 1906, pp. 331-332)

## ٢- حملة بخارى الأولى:

تم تعيين اللواء ديمتري رومانوفسكي DimitriRomanowski كحاكم عسكري لمنطقة تركستان، وتلقى ديمتري رومانوفسكي تعليمات مشتركة من وزارتي الحرب والخارجية، نصت على عدم توسيع ممتلكات روسيا في أواسط آسيا، والحفاظ على المصالح الحقيقية لروسيا، كانت مهمة ديمتري رومانوفسكي الرئيسية فيما يتعلق بخارى هي منع أمير بخارى توسيع ممتلكاته في أواسط آسيا وسلامة ممتلكات روسيا. (Халфан, 1960, p. 221)

في نهاية عام ١٨٦٥، كان هناك مسودة معاهدة بين روسيا وبخارى ونصت على إنشاء وكالة تجارية روسية في بخارى، وحقوق متساوية للتجار الروس في بخارى ، خفض رسوم الاستيراد والتصدير البخارى، واعتراف بخارى باستقلال طشقند، حرية الملاحة على سير داريا للسفن الروسية، وقع الأمير مظفر الدين على المعاهدة المقترحة، سمح لسفيره بالذهاب إلى سانت بطرسبرغ، وافق دي إيه ميليويتين نيابة عن الحكومة لسفيره بالوصول إلى سانت بطرسبرغ للتفاوض. (Becker, 1968, p. 25)

في شهر آذار عام ١٨٦٦ وصل ديمتري رومانوفسكي إلى المعسكر الروسي في تشاينز Chains وتولى القيادة، وكانت المناوشات مع القوات بخارى تحدث باستمرار ، ووصلت تقارير عن طلب مظفر الدين المساعدة من خيوة. (Терентьев, 1906, pp. 3338-339) وفي ١٩ نيسان عام ١٨٦٦ استلم ديمتري رومانوفسكي سفارة بخارى تحمل رسالة من الأمير مظفر الدين الذي أصر على انسحاب روسيا إلى ما بعد السير - داريا وتهرب من مسألة الإفراج عن مهمة ك.ف ستروف، بدأ الروس بالهجوم العسكري في ٧ آيار عام ١٨٦٦، هزموا

جيش بخارى في مواجهة كبيرة بمعركة إردجار في ٢٠ آيار عام ١٨٦٦، وهرب مظفر الدين من ساحة المعركة. (Романовский, 1968, p. 59)

شرع ديمتري رومانوفسكي بمبادرته في فرض حصار على بلدة خوقند واستولى على مناطق تابعه لها (نمنجان- وجيزاك) في ٢٤ آيار عام ١٨٦٦، برر ديمتري رومانوفسكي احتلاله لتلك المناطق على أسس استراتيجية للدفاع عن منطقة شيرشيك وسيقطع خوقند من بخارى. (Morrison, 2014, p. 136) أثرت معركة إردجار وسقوط نمنجان- وجيزاك على الأمير، وفي بداية شهر حزيران عام ١٨٦٦ أطلق مظفر الدين سراح بعثة ك.ف ستروف وأرسل سفارة إلى ديمتري رومانوفسكي ليطلب وعدا بعدم اتخاذ أي إجراءات أخرى ضد أراضي بخارى، رد ديمتري رومانوفسكي بأن الحاكم العام لأورنبورغ قادماً إلى طشقند لمناقشة شروط السلام، اقترح ديمتري رومانوفسكي أربعة شروط أولية للسلام، كان على بخارى الاعتراف بجميع الفتوحات الروسية الأخيرة، وتخفيض الرسوم على البضائع الروسية إلى مستوى الرسوم المحصلة على البضائع بخارى في روسيا ، ومنح الحرية والأمان الكاملين لجميع الرعايا الروس في بخارى، ودفع لروسيا تعويضا لتغطية نفقات الحملة العسكرية الأخيرة. طالب ديمتري رومانوفسكي كشرط للوقف الفوري للأعمال العدائية بتحرير جميع التجار الروس مع بضائعهم ووعد بالتماس تحرير رعايا بخارى المعتقلين في أورنبورغ، حرر الأمير مظفر الدين جميع التجار الروس في بخارى وأعادوا بضائعهم إليهم. (Романовский, 1968, p. 65)

في شهر آب عام ١٨٦٦ ، وصل الجنرال كريجانوفسكي إلى طشقند في نهاية الشهر كتب ديمتري رومانوفسكي إلى مظفر الدين لإبلاغه أن كريجانوفسكي ينتظر في طشقند لإبرام السلام، هدد ديمتري رومانوفسكي بتجديد الأعمال العدائية ما لم يرسل الأمير مبعوثاً للتفاوض على شروط السلام، وبناءً على ذلك، أرسل مظفر الدين في بداية شهر أيلول عام ١٨٦٦ رسالة أكد فيها استعداداه الكامل لتلبية جميع مطالب روسيا، ومن أهم الشروط التي قدمها كريجانوفسكي إلى مبعوث بخارى هو السماح للوكيل التجاري الروسي بالإقامة في بخارى بغرض حماية مصالح التجار الروس، والسماح للرعايا الروس بإنشاء مراكز تجارية في أي مدينة في الخانات ، وفرض الضرائب على التجار الروس بنفس معدلات الضرائب المفروضة على البخاريين، وعلى الأمير أن يتخلى إلى الأبد عن أي تدخل في شؤون طشقند وأن يدفع تعويض الحرب قدره أربعمئة ألف روبل. (هايت، ١٩٧٠، صفحة ١٧٧)

لم يقبل مظفر الدين على الشروط التي طلبها ديمتري رومانوفسكي، وقرر الأخير إجبار مظفر الدين على الشروط من خلال الاستيلاء على واروه تبه وجيزاك. وفي ٥ أيلول عام ١٨٦٦، كتب إلى وزير الحرب دي إيه ميلويتين أنه يستعد للهجوم على بخارى، وبعد ثمانية أيام أخبر سفير بخارى على الأمير الاستجابة للشروط وأمامه

عشرة أيام فقط في حال رفضه سيواجه المزيد من العمل العسكري، عندما انتهى الإنذار في ٢٣ أيلول عام ١٨٦٦ بدأت العمليات العسكرية وتمكنت روسيا من الاستيلاء على جيزاك في ٢ تشرين الأول عام ١٨٦٦ ، وتم استيلاء روسيا على واروه تبه في ١٣ تشرين الأول عام ١٨٦٦. (Халфан, 1960, p. 244)

#### ٤- مشروع معاهدة عام ١٨٦٧:

نتيجة الهزائم العسكرية التي تعرضت لها بخارى طلب مظفر الدين المساعدة من الهند، لكن الأخيرة أبلغته برفضها للطلب، لذلك أرسل الأمير سفيراً إلى أورينبورغ في شهر آيار عام ١٨٦٧ ، لاستئناف محادثات السلام، واستمرت المحادثات في أورينبورغ (Попов, 1940, p. 215) في تلك الأثناء أجرت روسيا تغييرات شملت رفع مستوى إقليم تركستان إلى منصب حاكم عام ، وتم استبدال ديمتري رومانوفسكي بالجنرال ك. فون كوفمان (K. von Kaufmann) وفي ١٧ تموز عام ١٨٦٧ ، منحه القيصر الصلاحيات الكاملة لكوفمان لاتخاذ قرار في الشؤون السياسية أو الاقتصادية، وإرسال أشخاص موثوق بهم إلى الأراضي المجاورة لإجراء المفاوضات وتوقيع الاتفاقيات أو اللوائح التي تؤثر على رعايا الطرفين. (Becker, 1968, p. 28)

أجرى ك. فون كوفمان عدة تغييرات، نصت على أن تتم علاقات الأمير مع روسيا حصرياً من خلال الحاكم العام لتركستان وأن يُعاد كنه كورغان إلى بخارى. ووقع مسودة المعاهدة في ١٤ أيلول عام ١٨٦٧ ، التي تألفت من اثنتي عشرة مادة وقدمها إلى سفير بخارى ، الذي كان في أورينبورغ منذ شهر آيار عام ١٨٦٧. (Татаринов, 1967, pp. 387-388) نصت مسودة المعاهدة على أن تكون الحدود الروسية البخارية بين جيزاك وكنه كورغان ثم باتجاه شمالي غربي نحو مصب نهر سير داريا، وأن تلتزم كل من روسيا وبخارى بالحفاظ على السلام على طول الحدود من خلال قمع الغارات ضد أراضي كل منهما، وتم تعيين سبع مواد من المعاهدة لفتح بخارى للتجار الروس، شملت حصل التجار الروس على حق التجارة مع بخارى ، وإنشاء القوافل ، والحفاظ على الوكلاء التجاريين في جميع أنحاء الخانات ، وكذلك الإقامة والحصول على العقارات في بخارى، بشرط موافقة الحاكم العام لتركستان، وعلى التجار الروس أن يدفعوا نفس الرسوم التجارية التي يدفعها

°- ك. فون كوفمان (١٨١٨ - ١٨٨٢): رجل دولة وعسكري روسي من عائلة نبيلة، شغل عدة مناصب عسكرية وسياسية، تمكن من غزو واستعمار آسيا الوسطى في عامي ١٨٦٥ و ١٨٦٦، عين الحاكم العام لمدينة فيلنيوس ، أول حاكم عام لتركستان ، وقائد قوات المنطقة العسكرية التركستانية، خلال هذه المدة تم ضم خانية خوقند إلى روسيا ، وتم إنشاء محمية روسية على خانية خيو و بخارى. (дел, 2021)

تجار بخارى، وعلى بخارى أن تحمي القوافل الروسية من اللصوص، وأن تترك للحاكم العام لتركستان الولاية القضائية الجنائية الحصرية على جميع الروس في الخانات. (Becker, 1968, p. 28)

من خلال الاطلاع على شروط المعاهدة، فإن المعاهدة لا تتعدى بأي شكل من الأشكال على سيادة بخارى على الرغم من صراحة منع أمير بخارى من التعامل مباشرة مع الحكومة الروسية.

وقع مبعوث الأمير في أورينبورغ على المعاهدة ، وتم تقديمها إلى مظفر الدين للتصديق عليها، وفي غضون ذلك تدهورت العلاقات الروسية البخارية. وجدد الأمير جهوده لتنظيم تحالف يضم كل من خوقند وخيوه وكاشغر وأفغانستان وبدعم من الدولة العثمانية وبريطانيا، لكن تم رفض مبادراته من جميع الأطراف. (Morrison, 2014, p. 139) وفي شهر أيلول عام ١٨٦٧ تم أسر الملازم سلوجينكو Slugenko وثلاثة جنود بين تشاينز وجيزاك من قبل قطاع طرق تابعين إلى بخارى. وتعرض سلوجينكو للتعذيب ، والتهديد بالقتل، وأُجبر على اعتناق الدين الإسلامي وخدمة الأمير كمدرّب عسكري، في شهر تشرين الثاني عام ١٨٦٧ تجددت الغارات على الحدود التابعة لروسيا من قبل بخارى ، وفيما يخص توقيع المعاهدة لم يرد أي رد على مسودة المعاهدة من قبل مظفر الدين في شهر كانون الأول عام ١٨٦٧ ، ووصل سفير بخارى إلى طشقند من غير نسخة موقعة من المعاهدة، وأدركت روسيا أن الأمير كان يماطل لبعض الوقت، وفي ١٩ كانون الأول عام ١٨٦٧ كتب ك. فون كوفمان إلى مظفر الدين يطلب المصادقة على المعاهدة والإفراج الفوري عن سلوجينكو ورفاقه. (Татаринков, 1967, pp. 399-400)

##### ٥- حملة بخارى الثانية:

لم يفقد مظفر الدين الأمل في مقاومة الروس، وخلال فصل الشتاء ١٨٦٧-١٨٦٨ فرض ضرائب طائلة على التجار لجمع نفقات الحرب التي كان يخطط لها ضد روسيا، لكن خوفه من تكرار هزائم عام ١٨٦٦ جعله يتردد في تجديد الأعمال العدائية، وتمكن من السيطرة على الأوضاع الداخلية وعزل المعارضين لكبح أنشطتهم لبناء دولة مركزية قوية. (Becker, 1968, p. 31)

طالب رجال الدين والتجار أوائل عام ١٨٦٨، إعلان الحرب ضد روسيا دفاعاً عن الوطن، ظل مظفر الدين متردداً، وفي الثاني من آذار عام ١٨٦٨، تلقى ك. فون كوفمان رسالة من بخارى تفيد بإطلاق سراح سلوجينكو ورفاقه ، لكنهم تجنبوا الرد الإيجابي على بنود مسودة المعاهدة، وأطلق ك. فون كوفمان بدوره سراح المبعوث البخاري الذي كان في طشقند ، على أمل أن يتم التصديق على المعاهدة، في أواخر شهر آذار عام ١٨٦٨ أستغلت الفئة المحرصة للحرب في بخارى بقيادة رجال الدين غياب الأمير عن العاصمة لإعلان الجهاد

ضد روسيا، وعندما عاد مظفر الدين إلى العاصمة ، واجه الكثير من الضغط لدرجة أنه أجبر على إعلان الحرب ضد روسيا في ٨ نيسان عام ١٨٦٨. (Morrison, 2014, p. 140) وبدأ ك. فون كوفمان بالعمليات العسكرية وهزم جيش بخارى بموقعة جوبنت في سمرقند بتاريخ الأول من آيار عام ١٨٦٨، وفي نفس اليوم الذي هزم به جيش بخارى أرسل مظفر الدين ردًا بالموافقة على مسودة المعاهدة لكن ك.فون كوفمان لم يوافق على ذلك. (Becker, 1968, p. 31)

في الثاني من آيار عام ١٨٦٨، احتل ك. فون كوفمان سمرقند، لإجبار الأمير أن يكون أكثر امتثالاً لمطالب روسيا، توقف كوفمان في سمرقند في ١١ آيار عام ١٨٦٨ واقترح شروطاً لعقد السلام بين الجانبين تضمنت اتفاقية تجارية من ست نقاط ضمنت جوهر المواد التجارية لمسودة المعاهدة ١٨٦٧، وتنازل بخارى عن جيزاك وسمرقند، ودفع تعويض الحرب، والاعتراف بحق روسيا في جميع المكاسب التي تحققت في أراضي بخارى منذ عام ١٨٦٥. (هايت، ١٩٧٠، صفحة ١٨٢)

لم يستجب مظفر الدين لعرض ك. فون كوفمان بدلاً من ذلك قطع رأس أحد المقاتلين الروس وألقى بالآخر في حفرة، (Татаринов, 1967, p. 424) وفي ١٦ آيار عام ١٨٦٨، كان تاريخ انتهاء المهلة لقبول شروط السلام ، استأنف ك. فون كوفمان تقدمه وأخذ كته كورغان، عرض شروط السلام السابقه لإيقاف العمليات العسكرية وأضاف بأن تدفع بخارى تعويضات حربية لروسيا و الاعتراف بجميع المكاسب الروسية منذ عام ١٨٦٥، في ٢٣ آيار عام ١٨٦٨، وافق المبعوثون من قبل مظفر الدين على شروط السلام وتم إعطاء مهلة لغاية الثاني من حزيران عام ١٨٦٨، ليصادق عليها مظفر الدين، وفي الثاني من حزيران عام ١٨٦٨، هاجم الروس على منطقة زيرابولاك Zirabulak التي تقع إلى الغرب من كته كورغان، وتم هزيمة جيش مظفر الدين بذلك حطمت آمال بخارى الأخيرة بالانتصار على روسيا. (Халфан, 1960, p. 286)

#### ٦- معاهدة عام ١٨٦٨:

عندما وصل خبر هزيمة البخاريين إلى العاصمة، اندلع تمرد بها وانسحب الأمير مظفر الدين إلى صحراء كيزيل كوم Kizil Com ، وفي ٥ حزيران عام ١٨٦٨، انسحب الروس إلى سمرقند، انتقل مظفر الدين إلى كرمين وقرر التخلي عن عرشه، وأرسل مبعوثه إلى سمرقند في ١٠ حزيران عام ١٨٦٨ ، لإبرام السلام مع روسيا، وفي ١٢ حزيران عام ١٨٦٨ وصل مبعوث مظفر الدين حاملاً عرض الأمير بالاستسلام غير المشروط والتنازل عن العرش وطلبه بالحصول على إذن من القيصر ألكسندر الثاني بالسماح له بالذهاب لأداء فريضة الحج. (Татаринов, 1967, pp. 472-473) وفي ٢٣ حزيران عام ١٨٦٨ تم توقيع معاهدة الصلح التي

تضمنت شروط السلام السابقة الذكر إضافة إلى تنازل إمارة بخارى عن خجند واروه تبه وجيزاك لروسيا ودفع تعويضات حربية لروسيا والاعتراف بأن حدود روسيا تمتد إلى غرب كته كورغان، في المقابل تعيد روسيا مدينتي سمرقند وكته كورغان لإمارة بخارى. (هايت، ١٩٧٠، الصفحات ١٨٤-١٨٥) أرسلت سانت بطرسبرغ تعليماتها إلى ك. فون كوفمان بعدم زيادة عبء الفتوحات الإقليمية لروسيا، بسبب قلة عدد القوات لاحتلال عاصمة بخارى مع ضرورة حماية حدود روسيا بشكل جيد من التهديد الخارجي. (Morrison, 2014, p. 143)

في ظل هذه الظروف قرر ك. فون كوفمان إبقاء مظفر الدين في العرش لأنه قد تم تأديبه بسبب هزائمه في السنوات الثلاث الماضية وأصبح يعتمد كلياً على روسيا للاحتفاظ بعرشه. وإن بقائه في الحكم من شأنه أن يجنب روسيا الأعباء المالية والبشرية إضافة إلى تعليمات ووزارتي الخارجية والمالية بخصوص أواسط آسيا التي نصت بعدم زيادة الفتوحات الإقليمية في المنطقة. (Becker, 1968, p. 32)

الخاتمة:

استعرضنا توسع روسيا في أواسط آسيا ١٨٥٣-١٨٦٨، وتوصلنا لنتائج عدة أبرزها:

١ - إن منطقة أواسط آسيا هي المتنفس الوحيد لقدرات روسيا السياسية، لأن الدول الأوروبية كانت تقف بالمرصاد أمام محاولات توسع روسيا في القارة الأوروبية أو على حساب الدولة العثمانية، إضافة إلى ذلك أن سيطرة روسيا على أواسط آسيا تعد خطوة استراتيجية ضد بريطانيا.

٢ - كانت الإمارات الإسلامية في أواسط آسيا تفتقد وحدة الصف إبان التوسع الروسي فلم تتخذ إجراءات فعالة على مستوى جميع الإمارات، ولم تحاول استغلال ظروف روسيا، خاصة حين اشتعال الثورات ضد روسيا في المناطق التي تقع على حدود الإمارات الإسلامية.

٣ - أدرك قيصر روسيا بطرس الأكبر الأهمية التجارية لأواسط آسيا يعدها المنفذ الوحيد إلى الهند من جهة الشمال، فضلاً عن ما تمتلكه تلك المناطق من ثروات طبيعية، استغل الخلافات الداخلية لإرسال قواته إلى المنطقة، تمكنت الإمارات الإسلامية من طرد قواته، وعلى الرغم من الهزائم التي لحقت بالروس، إلا أن القيصر حرص على وجود التمثيل الدبلوماسي في تلك الخانات.

٤- أثّرت مسألة سد الفجوة بين بيروفسك وإيلي وإنشاء خط واحد من بحر آرال إلى إرتيش عام ١٨٥٣، لكن أوضاع روسيا لم تسمح بذلك لانشغالهم بحرب القرم، اقتضت توجهاتها بتمديد خط سيبيريا عبر نهر إيلي، فتم إنشاء حصن فيرني عام ١٨٥٤ كنقطة جديدة للخط.

٥- أجرت روسيا عام ١٨٦١ تغييرا في القيادة العسكرية مما أدى لتهديد الطريق لاستئناف تقدم روسيا نحو أواسط آسيا، وأصبح دي إيه ميليويتين وزيراً للحرب، وتولى الجنرال إغناطييف، إدارة قسم آسيا في وزارة الخارجية، كان كلاهما من المؤيدين للغزو العسكري لأواسط آسيا.

٦- أمر القيصر ألكسندر الثاني في ٢٠ كانون الأول عام ١٨٦٣، وزير الحرب دي إيه ميليويتين بالمضي قدماً خلال العام التالي لتوحيد خطوط سير داريا وسيبيريا في غضون تسعة أشهر تم تنفيذ أوامر القيصر.

٧- في ٢٤ نيسان عام ١٨٦٥، حصل أم جي تشيرنيايف على الموافقة من الحكومة الروسية التوسع اتجاه طشقند، مدعياً وجود قوات خارجة عن القانون تهدد الوجود الروسي في سمرقند واروه تبه توبي التابعة لبخارى، وفي شهر آيار عام ١٨٦٥ بدأ الهجوم العسكري وفرض حصار على طشقند في ٩ آيار عام ١٨٦٥، لكن الأمير مظفر الدين حاكم بخارى لم يوافق على هذا التوسع، فرض سيطرته على اوره تبه وخجند وخوقند وإعادة حاكمها إلى العرش.

٨- في نهاية عام ١٨٦٥، كان هناك مسودة معاهدة بين روسيا وبخارى صاغها كريجانوفسكي نصت على منح روسيا امتيازات تجارية واعتراف بخارى باستقلال طشقند، بسبب عدم توصل الطرفين إلى اتفاق شنت روسيا هجوماً عسكرياً في ٧ آيار عام ١٨٦٦ على إثرها هزم جيش بخارى في مواجهة اردجار بتاريخ ٢٠ آيار عام ١٨٦٦، كان لها تأثير كبير على مظفر الدين وبدأ يقدم التنازلات لروسيا.

٩- لم يفقد مظفر الدين الدين الأمل في مقاومة الروس، فرض ضرائب طائلة على التجار لجمع نفقات الحرب التي كان يخطط لها ضد روسيا، واستجاب لطلب رجال الدين والتجار في أوائل عام ١٨٦٨، فأعلن الحرب ضد روسيا، دارت معركة بين الجانبين وهزم جيش بخارى في الأول من آيار عام ١٨٦٨، في نفس اليوم الذي هزم به جيش بخارى أرسل مظفر الدين موافقته على مسودة المعاهدة مع روسيا، لكن ك. فون كوفمان أضاف شروطا تضمنت الاعتراف بجميع المكاسب التي حققتها روسيا ودفع تعويض مالي عن العمليات العسكرية، لم يصادق مظفر الدين على المعاهدة، استمرت روسيا بعملياتها العسكرية وتم هزيمة جيش بخارى.

١٠- في ١٢ حزيران عام ١٨٦٨، وصل مبعوث مظفر الدين حاملاً عرض الأمير بالاستسلام غير المشروط والتنازل عن العرش، في ٢٣ حزيران عام ١٨٦٨ تم توقيع معاهدة الصلح تضمنت منح روسيا امتيازات تجارية وتنازل بخارى عن جميع الأراضي التي سيطرت عليها روسيا ودفع تعويضات حربية لروسيا والاعتراف بأن حدود روسيا تمتد إلى غرب كته كورغان، في المقابل تعيد روسيا مدينتي سمرقند وكته كورغان لإمارة بخارى في ظل هذه الظروف قرر ك. فون كوفمان إبقاء مظفر الدين في العرش لأنه قد تم تأديبه بسبب هزائمه في السنوات الثلاث الماضية واصبح يعتمد كلياً على روسيا للاحتفاظ بعرشه.

#### المصادر :

١. بالمر ، آلان. (١٩٩٢). موسوعة التاريخ الحيث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة، سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين. بغداد: دار المأمون.
٢. باي مرزا هايت. (١٩٧٠). تركستان بين روسيا والصين تاريخ الحكومات التركستانية والنضال الوطني ضد الاستعمارين الروسي والصيني خلال القرون ١٨ - ٢٠ الميلادي ، ترجمه عناية الله أحمد تركستاني. تركستان: صفحة ردمك.
٣. علاء محمد جهاد الخفاجي. (٢٠١٨). سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر ألكسندر الثاني (١٨٥٥-١٨٨١)، رسالة ماجستير، غير منشورة. جامعة كربلا: كلية التربية للعلوم الإنسانية.
٤. محمد حسن العيلة. (١٩٨٦). أواسط آسيا الإسلامية بين الانقضاء الروسي والحذر البريطاني. الدوحة: دار الثقافة.
٥. محمد فريد بيك المحامي. (١٩٨١). تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت: دار النفائس.
٦. مشعل مفرح ظاهر الشمري. (٢٠٠٦). روسيا القيصرية في عهد بطرس الأكبر ١٨٦٩-١٧٢٥. أطروحة دكتوراه، غير منشورة: كلية الآداب، جامعة البصرة.

#### المصادر باللغة الأجنبية :

1. Becker, S. (1968). *Russia's Protectorates in Central Asia: Bukhara and Khiva*. press: Harvard University.

2. Demetrius, B. (1979). *England and Russia in Central Asia. Vol. 1*. WH Allen.
3. Morrison, A. (2014). *Rewriting the Russian conquest of Central Asia, 1814 – 1895*. Kazakhstan: Nazarbayev University.
4. utechin, S. (1961). *Everyman's concise Encyclopaedia of Russia* . London .
5. дел, М. и. (2021, 4 13). Retrieved from [https://wikiarar.top/wiki/Minister\\_of\\_Foreign\\_Affairs\\_\(Russia\)#Tsardom\\_of\\_Russia](https://wikiarar.top/wiki/Minister_of_Foreign_Affairs_(Russia)#Tsardom_of_Russia)
6. Жкфск, С. (1965). *Русское святилище Бухари* . Москва: Новые фестивева.
7. Захаровой, с. Л. (1997). *Воспоминания генерал-фельдмаршала графа Дмитрия Алексеевича Милютина, 1816–1843*. Москва.
8. Попов, А. (1940). *«Из истории завоевания Средней Азии»*. Москва: Исторические записки.
9. Рожкова, М. (1960). *«Из истории торговли России со Средней Азией во 60-х годах XIX в.»*. Москва: Исторические записки.
10. Романовский, Д. (1968). *Заметки о Средней Азии Вопрос*. Санкт-Петербург .
11. Татаринов, А. (1967). *Семь месяцев бухарского плена*. Санкт-Петербург.
12. Терентьев, М. А. (1906). *История завоевания Средней Азии, том, I, .*, Санкт-Петербург.
13. Халфан, Н. А. (1960). *Политика России в Средней Азии 1857–1868*. Москва.